جماليات فن المقال عند الدكتور سيد مُحَمَّد يوسف

Adorn Mutations of Art Essay by Dr. Syed Muhammad Yousuf

د. عاصف سليم*

Abstract

The art of presenting literary articles (teachings of the great Arabic scholar Dr. Syed Mohammad Yusuf). Literary writing is finest writing ever, which flies in the sky of glory with the wings of poetry and prose. One of these types of writings is literary articles which is an art of literature. Art of the articles is an expression in Arabic language and it is a type of modern Arabic literature; in which the writer deals with many issues which might be personal, social or political. Gathering from these aspect we find that Dr. Syed Mohammad Yusuf (may Allah's mercy be upon him) has innovated in his literary articles by using aesthetics of this art in the best possible way. This article will spot the light on this literary scholar's artistic work.

Keywords: *Literature, Poetry, Prose, Aesthetics, Art.*

المقال نصٌ أدبي نثري ينقل فيه الكاتب أفكار أو بعض القضايا معينة أو عامة للقراء بطريقة ممتعة وشيقة. وهو فن تطور في العصر الحديث عن فن الرسائل الأدبية في العصور الأدبية الماضية وظهر بظهور الصحافة العربية، متأثراً بالمقال الغربي.

تعريف المقالة:

الكاتب آرثر بنسن يقول:"بأنها تعبير عن إحساس شخصي، أو أثر في النفس، أحدثه شيء غريب، أو جميل، أو مثير للاهتمام، أو شائق، أو يبعث الفكاهة والتسلية".(١)

عرف أدموند جوس المقالة في بحثه المنشور في دائرة المعارف البريطانية بقوله: "المقالة باعتبارها فنا من فنون الأدب، هي قطعة إنشائية ذات طول معتدل تكتب نثرا، وتلم بالمظاهر الخارجية للموضوع بطريقة سهلة سريعة، ولا تعنى إلا الناحية التي تمس الكاتب عن قرب"(٢).

ويعرفه مُحَمَّد يوسف نجم: "أن المقالة الأدبية قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق. وشرطها الأول أن تكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب"(٣).

*الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية، جامعة كراتشي.

الدكتور مُحَمَّد عوض:"أن المقالة الأدبية الموفقة تشعرك وأنت تطالعها أن الكاتب جالس معك، يتحدث إليك.. وإنه ماثل أمامك في كل عبارة وكل فكرة"(٤).

نشأة فن المقالة:

نشأة المقالة الحديثة كما نعرفها اليوم في الغرب، منذ بضعة قرون على يد الكاتب الفرنسي مونتين (١٥٣٣-١٥٩٣م)، وفرانسيس بيكون الإنجليزي (١٥٦١-١٦٢٦م). وقد ارتبطت بالصحافة وتقدمّت بتقدّمها، وفتّحت آفاق جديدة من المعرفة، وتعدّدت جوانب الثقافة، وأخذ الكتّاب يهتمّون بتقديم وجهات نظرهم والدلالة عليها بطريقة مباشرة. وكان الإصلاح هو الغاية الأساسية لهذا الفن الجديد، والذي اتسع نطاقه ليشمل جميع نواحي الحياة، والذي اتسع حجمه بحكم ظهور المجلات المتخصصة.

جذور فن المقالة في الأدب العربي القديم:

"عرف الأدب العربي القديم فصولا من الكتابة النثرية شبيهة بفن المقال الحديث، كانوا يسمّونها الرسائل، كرسالة الجاحظ في القيان والبيان والتبيين، ورسالة أبي حيان التوحيدي في علم الكتابة الإمتاع والمؤانسة وغيرها،والفصول النثرية لدى عبد الحميد الكاتب في رسائله، وابن المقفع في كتابيه الأدب الصغير والأدب الكبير، لكن هذه الفصول لم تستوف شروط المقال الحديث في منهجها وأسلوبها"(٥).

تطور المقالة في الأدب العربي الحديث:

"تطور فن المقال في الأدب العربي الحديث بتأثير الآداب الغربية ومقترنا بظهور الصحافة. وقد مرفي تطوره حديثا بأربعة مراحل:

الطور الأول: طور المدرسة الصحفية الأولى، ويمثلها كتاب الصحف الرسمية، التي أصدرتها الدولة أو أعانت على إصدارها. ويمتد هذا الطور، حتى الثورة العرابية. ومن أشهر الكتاب الذين شاركوا في تحرير صحف هذه الفترة: رفاعة الطهطاوي وعبد الله أبو السعود وميخائيل عبد السيد ومُحَمَّد أنسي وسليم عنحوري. وقد ظهرت المقالة على أيديهم، بصورة بدائية فجة، وكان أسلوبهم أقرب إلى أساليب عصر الانحطاط، فهو يزهى بالسجع الغث وبالمحسنات البديعية والزخارف المتكلفة الممجوجة.

الطور الثاني: وفيه ظهرت المدرسة الصحفية الثانية، التي تأثرت بدعوة جمال الدين الأفغاني، وبنشأة الحزب الوطني الأول، وبروح الثورة والاندفاع التي سبقت الحركة العرابية. وكان للمدرسة السورية المتمصرة يد لا تنكر على تطوير المقالة في هذه المرحلة من حياتها. وقد برز في هذه المدرسة عدد من الشخصيات التي ارتبط تاريخها بتاريخ الكفاح الوطني في مصر، ومنهم أديب إسحاق وسليم النقاش وسعيد البستاني وعبد الله نديم ومُحَمَّد عبده وإبراهيم المويلحيومُحَمَّد عثمان جلال وعبد الرحمن الكواكبي وبشارة تقلا. وقد تحللت هذه المدرسة من قيود السجع.

الطور الثالث: وفيه ظهرت طلائع المدرسة الصحفية الحديثة، ومنهم علي يوسف ومصطفى كامل وعبد العزيز جاويش وولي الدين يكن وسليم سركيس ومُحَمَّد رشيد رضا وخليل مطران ونجيب الحداد وأمين الحداد ولطفي السيد ومُحَمَّد مسعود. وهذه المدرسة نشأت في عهد الاحتلال، وتأثرت بالنزعات الوطنية والإصلاحية التي سبقته وبالنزعات الحزبية التي تلته. وقد خطت هذه المدرسة بالأسلوب الأدبي خطوات جبارة، فخلصته من قيود الصنعة والسجع، وأطلقته حرا بسيطا، حملته من الأفكار والمعاني تفوق حملته من الزخرف والعبث البديعي.

الطور الرابع: المدرسة الحديثة، وتبدأ بالحرب العظمى الأولى وما تلاها من أحداث جسام، قلبت الحياة المصرية رأسا على عقب. وقد ظهر في هذه الفترة من الصحف التي تركت أثرها في الحياة الأدبية عامة، وفي المقالةخاصة. وكان أثر هذه الصحف في المقالة محصورا في نطاق المقالة السياسية، أو افتتاحية التحرير. أما أثرها الأدبي فقد كان ضعيفا؛ إلا أنها قدمت للقارئ بعض كبار الكتاب، ومنهم مُحَمَّد تيمور ومحمود تيمور اللذان ظهرا على صفحات "السفور"، والمازني الذي برز في تحرير "الأهرام" و"الأفكار"، وهيكل محرر "السياسة اليومية".وامتازت المقالة في هذا الطور بالتركيز والدقة العلمية، والميل إلى بثلثقافة العامة لتربية أذواق الناس وعقولهم. أما أسلوبها فهو الأسلوب الأدبي الحديث الذي عرف به محرر هذه الصحف، وقد كان منهم نفر من أقطاب المدرسة الأدبية الحديثة"[٦].

العناصر الأساسية للمقالة:

١– المقدمة:تعد المقدمة الفقرة الأولى في المقالة، وتتضمن المقدمة الملخص العام للأفكار والنظريات وتبين أساس الفكرة التي بنيت عليها المقالة ووضع القارئ في أجوائها.

٢– العرض:وهو الموضوع الرئيسي للمقالة، يتكون من مجموعة فقرات تتناول تحليل عناصر الموضوع والتفصيل والاستدلال عليها.

٣– الخاتمة:الفقرةالختامية، تضم حلا للمشكلة التي تتحدث عنها المقالة، يخرج القارئ منها بالمعلومات وثمرة المقالة التي يسعى للحصول عليها.

ويصنف المقال على ثلاثة أصناف رئيسيةوهي: المقالة الصحفية، المقالة الأدبية والمقالة العلمية. وتتفرع تحت هذه الأصناف إلى نقدية، سياسية، إجتماعية، تاريخية، فكاهية، جدلية وتحليلية...الخ.

خصائص المقال الأدبي:

لابد للمقال الناجح أن يتوفر فيه عوامل وخصائص فنية وجماليات تجذب القارئ وتشد انتباه إليه. منها:

١– اللغة: استخدام الألفاظ السهلة، وعبارات غنية جزلة مترابطة وبعيدة عن التكلف. الاختصار والبعد عن التكرار.

۲- الفكرة: وضوح الفكرةوبراعة عرضها لقصد الإفهام،وتسلسل الأفكار وسهولة الانتقال بين الأفكار والفقرات.

۳- العاطفة: تشكل العاطفة عنصرا أساسيا في المقالة،ففيها متسع لا بأس به للتعبير عن وجهة نظر الكاتب الشخصية أو الذاتية، بما فيها من مشاعر و أحاسيس و آراء خاصة.

٤- الاستدلال والاستشهاد: الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية. والاستشهاد ببعض الأمثلة من التاريخ والواقع، ذكر الحكم، الأمثال والشواهد الشعرية.

٥- الأسلوب: استخدام الجماليات اللغوية كالأساليب الإنشائية والمحسّنات اللفظية والبديعية، والتراكيب النحوية والبلاغية مثل الجناس والطباق، والإيجاز والإطناب، والخبر والإنشاء، والتشبيه بأنواعه، وذكر الأقوال المأثورة والحكم وغير ذلك.

الدكتور سيد مُحَمَّد يوسف:

ولد الدكتور في ١٩١٦/٥/٣١ في بهوبال وكانت إمارة إسلامية في الهند غير المنقسمة، ايام حكم الانكليز فيها. ووالده هو سيد إحسان حسين. نشأ الدكتور بهذه المدينة وترعرع فيها ودرس الابتدائية والمتوسطة في المدرسة الأحمدية والمدرسة الجهانغيرية، ودرس العلوم الإسلامية على يد عالم كبير من علماء بهوبال ونجح في الامتحان الثانوي، وحصل على شهادة الليسانس كطالب منتسب من جامعة آغره في ولاية أتربرديش. وفي عام ١٩٣٧م جاء إلى جامعة على كره الإسلامية لإكمال دراسته العالية في اللغة العربية فسجل في قسم اللغة العربية لنيل شهادة الماجستير، وكان رئيس القسم في تلك الأيام العلامة عبد العزيز الميمني. والذي يعود الفضل له في تكوينه الأدبي واللغوي، وقد وجد د. يوسف بغيته عنده فتقرب إليه ولازمه، وكان ينهل من فيضه ويرى في خدمته سعادة له وشرفا، وكذلك كان العلامة الميمني يحبه حبا جما. كما درس على بعض أساتذة الجامعة، ولكنه استفاد كثيرا في دراسة العلوم الإسلامية بالشيخ سليمان أشرف البهاري (ت ١٣٥٢هـ)، الذي رباه تربية إسلامية وخلق فيه الذوق لدراسة العلوم الدينية والإسلامية. وتحصل كذلك على بكالوريوس شرف في اللغة الأردية في ١٩٤٠. ثم سجل د. يوسف في قسم الدكتوراه وهو أول طالب سجل للدكتوراه بالقسم وأول طالب أشرف عليه العلامة الميمني واختار له موضوعا من احب موضوعاته إليه "أثر أسرة المهلب بن أبي صفرة الأزدي في التاريخ الإسلامي" وتحصل عليها في ١٩٤٢. وعيّن بعد ذلك كمحاضر بالقسم. ونال ماجستير في اللغة الفارسية عام ١٩٤٤. وبعد سنوات ذهب إلى مصر ليوسع دراساته الأدبية واللغوية، وأثناء أقامته بمصر عين كمحاضر للغة الأردية بجامعة فؤاد الأول (جامعة قاهرة حاليا)، وبعد سبع سنوات سافر إلى سيرلانكا في عام ١٩٥٣ حيث عين محاضرا بجامعة سيلون، وترقى حتى أصبح أستاذا ورئيسا لقسم اللغة العربية. وبعد خمس سنوات رجع إلى كراتشي وعين أستاذا للغة العربية في جامعة كراتشي ورئيسا لقسمها. وأحيل إلى التقاعد ونظرا لمؤهلاته تم تمديد مدة خدمته لمدة سنة. وكان عضوا في الوفد الكشميري لزيارة دول شرق الأوسط تحت قيادة مير واعظ في عام ١٩٦٤. وكان

المندوب الوحيد لباكستان في "الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي" والذي انعقد في الجزائر خلال ١٠-٢٣ يوليو ١٩٧٣. وعمل كأستاذ زائر في الجامعة الوطنية بماليزيا في ١٩٧٤. وسافر بعد ذلك إلى نيجريا حيث عين أستاذا في قسم دراسات المذاهب والأديان بجامعة جوس وعميداً لكلية الآداب. وسافر إلى لندن لتأدية خدمته العلمية والأدبية للجامعة، وهناك أصيب بسكتة قلبية في شارع أكسفورد، ففارق الحياة وتوفي في لندن في ٢١ يوليو ١٩٧٨م. ونقل جثمانه إلى كراتشي حيث دفن بها[٧].

د. سيد مُحَمَّد يوسف كأستاذ في قسم اللغة العربية بجامعة كراتشي:

يتحدث أحد طلاب الدكتور سيد مُحَمَّد يوسف، وهو أستاذي الفاضل د. حافظ إحسان الحق[٨]- حفظه الله- عن طريقة تدريس أستاذه قائلا: "كنت طالبا لأستاذي د. سيد مُحَمَّد يوسف بقسم اللغة العربية بجامعة كراتشي، سنة ١٩٧٤-١٩٧٥م. كان الأستاذ، أستاذاً فذّاً ونابغاً في العلوم العربية والإسلامية. وكان في ذاك الزمان باب القسم اللغة العربية مفتوح لجميع الدول العربية والأفريقية والإسلامية. فزملائي كانوا ينتمون إلى بنغلاديش، ماليزيا، سنغال والدول الأفريقية الأخرى وما إلى ذلك من دويلات.

أمّا أنا فكنت متعوداً في مدرستي الدينية التي تخرجت فيها طريقة التدريس باللغة العربية أو الأردية، وأعرف اللغةالإنجليزية سماعياً وكتابياً. فكنت حريصاً على سماع الأستاذ وهو يواجه طلابا من مختلف الجنسيات في آن واحد وفي المحاضرة الواحدة. فأعجبت بطريقة تدريسه، فكان يدرسنا "المفضليات" للضبي.

يَا عيدُ مَا لَكَ مِنْ شَوْقٍ وَإِيرَاقِ وَمَرِّ طَيْفٍ عَلَى الأَهْوَالِ طَرَّاقِ

فكان يأخذ البيت تلو الآخر، ويشرح باللغة العربية السهلة، اللغة االعربية الفصحى، مشيرا إلى شرح ما له وما عليه الذي قيل في الشعر. ثم يشرح نفس الشعر في اللغة الإنجليزية للطلاب الأجانب الذين لا يعرفون العربية باتّا. وبعد ذلك يترجم الشعر في اللغة الأردية موجزا كانه لا يبالي به.

وأخيرا تأتي المرحلة التي أحبها كثيرا وهي استخدام الأنامل لتقطيع الشعر، فكان يقطع الشعر في بحور فعولن، مفاعيلن وفاعلاتن وما إلى ذلك من البحور. ويستخدم أنامله الكريمة بالدق على المنضدة التي أمامه، وعندما تنتهي المحاضرة، فكل منا يتساءل: كيف مر الوقت ولم نشعر به، ومتى ستكون محاضرة الأستاذ القادمة.

وكان الأستاذ لا يشجع الطلاب كثيراً إلا من يتأهل ويستحق جدارته للمادة. فكان يهتم للمقالة الرسمية ويسمح لكل طالب أن يكتب مقالته بأيّ لغة بشرط استخدام المصادر العربية. فالمقالة التي جلبت نظره وانتباه إليها ترد إلى كاتبها بالوجه المبتسم بدون التعليق عليها.

لا أتذكر من الزملاء لا سيما من الأردن، سنغال أو من بنغلاديش نال ترحيب الأستاذ إلا زميلتي واسمها نجمة سجواني، فكانت في زيّها المرموق والنظارة السوداء الفاتنة، ومصاحبتها بل التصاقها بالمكتبة العربية جعلتها تكتب العربية أحسن من العرب. فعندما كتبت مقالتها وأعتقد إنها كانت حول طه حسين، قال الأستاذ

لنجمة "التركيز في فكرك يعجبني"، هذا هو الترحيب الوحيد الذي فازت به نجمة ولم ينجح أحد منا في الحصول على مثل هذاالترحيب. لا أنا ولا الأساتذة المعاصرون في القسم الآن.

كما كان الدكتور سيد مُحَمَّد يوسف مؤمنا ومتمسكا بفكر العلامة مُحَمَّد إقبال، ومحافظا على القيم التي دعا إليها العلامة رحمه الله، وكتب عنه العديد من المقالات باللغة الأردية.

وأخيراً أقول بصراحة أن الأستاذ الدكتور سيد مُحَمَّد يوسف عبقرياً في معرفة اللغة العربية، الفارسية والإنجليزية. ذاع صيته في كتابة المقالات في جريدة "دان" الإنجليزية كرجل لا يشار إلى تصحيح كلمة ما كتبها هو أو أحمد علي مدير الجريدة في ذاك الوقت. فكان الدكتور رجلا اعلم واسبق من أستاذه العلامة عبد العزيز الميمني في معرفة اللغات، بينما كان العلامة الميمني له الفضل الكبير في إحياء التراث العربي في مجال المخطوطات مما جعل شخصيته تفوق على طالبه في العالم العربي. ولله الحمد والمنة"[٩].

د. سید مُحَمَّد یوسف وفکر العلامة إقبال:

كما ذكرنا سابقا بأن الدكتور سيد مُحَمَّد يوسف كان مؤمنا ومتمسكا بفكر العلامة مُحَمَّد إقبال، ومحافظا على القيم التي دعا إليها العلامة رحمه الله، وكتب عنه العديد من المقالات باللغة الأردية. نجد إنه يتحدث عنه في مقالاته العربية إيضا:

"ما من شك أن حياتنا في الوقت الحاضر منحلة تماماً غير منظمة ولا منسقة ونحن نحتاج إلى كثير من الإصلاح في عوائدنا وأخلاقنا ولا بأس بأن يجئ الاحتكاك بالأمم الأخرى كحافز لنا على الجد والعمل في سبيل التقدم والرقي ولكن يجب قبل كل شئ أن نأخذ حيطتنا لئلا يتحول شعورنا بالتأخر إلى الشعور بمركب النقص فيكون كالكابوس الجاثم على أفكارنا وعقولنا حتى ينسينا أننا أمة لها ماض مجيد ولا يتأتى لها التقدم إلا بالرجوع إلى ماضيها ووصل حاضرها به. هذه هي المرحلة التي يقول الدكتور إقبال الحكيم الشاعر الهندي المعروف، إن كثيراً من الشعوب الشرقية فشلت في اجتيازها فإنها لما روعها تغلب الغربيين عليها وبهر أعينها تقدمهم في ميادين الحياة المختلفة، بدأت تنشد وتتلمس أسباب هذه القوة الظاهرة والتقدم الباهر فظنت أن تلك الأسباب لا تعدو اللادينية والحروف اللاتينية ولبس البرانيط وتمزيق البراقع وتأبط ذراع الحليلات في الشوارع ومداعبة الخليلات في الأندية والحفلات وما إلى ذلك من مظاهر الحياة الغربية التي لا تمت بصلة لا قريبة ولا بعيدة إلى تقدم الغربيين وقوتهم وشوكتهم"[١٠].

"إن المناقشة التي دارت في المجمع اللغوي بين الدكتور احمد أمين والدكتور طه حسين في حرية الكاتب وتقيده بأهداف معينة –وعلينا الشكر للأستاذ عباس خضر على نشره لموجز أدلة الفريقين– إنها لمناقشة جديرة باهتمام كبير وإن كان الموضوع قد قتل بحثاً ودرساً في الغرب منذ إن اتفق لفيكتور هيكو اختراع قوله (الفن للفن) فقد كان الصراع بين أنصار هذه النظرية –نظرية عدم استخدام الفن لأغراض معينة– وخصومها، ومن بينهم هيكو نفسه، قوياً حاداً طيلة القرن الماضي ولسنا نحن الشرقيين في حاجة إلى (تمثيل) ذلك الصراع في بلادنا وترديد آراء الغربيين في مسألة كهذه لأن الغربيين هم كما قال الدكتور إقبال الحكيم الشاعر الهندي (يكتشفون

ويتتبعون مسير النجوم في السماء، ولكن لا يسعهم أن يهتدوا إلى الطريق في دنيا الأفكار) لا يؤمل منهم أن يصلوا إلى رأي قاطع حازم فيما يتعلق بالمسائل الأخلاقية، مع أن تفوقهم في العلوم الطبيعية لا يسع أحداً إنكاره في العصر الحاضر"[۱۱].

"ولنستعرض الآن آراء إقبال، الفيلسوف الشاعر الذي احتفل منذ قريب بالذكرى الثالثة عشرةلوفاته، في المسائل التي قدمناها آنفاً. لا يفوت إقبالاً أبداً أن يحذر من الاستخفاف بالقوة أو إهمال أية وسيلة من وسائل الحصول عليها، فهو لا يتأثر مطلقاً مما يوجه بعض الناس إلى الإسلام من نقد على روح الجهاد فيه: بل يقول:(إن الذي يرتجف العالم من بطشه وسفكه هو أولى بأن يلقن مبدأ ترك الجهاد... لقد تدججت أوربا بالسلاح للدفاع عن أبهة الباطل... إذا كانت الحرب شراً في الشرق فهي لا بد وأن تكون شراً في الغرب أيضاً... أما محاسبة الإسلام والصفح عن أوربا فذلك ليس من الحق في شيء).

وكذلك يسخر إقبال من خطة تعبير القوة بالقوة حينما يقص علينا قصة قطيع من الغنم وقع فيه الأسد، فتقدمت شاة كانت قد أوتيت دهاء لتتزعم القطيع، فامتنعت في نفسها بأنه من المستحيل أن تتحول الأغنام أسوداً إلا أنه يكن أن ينحط الأسد إلى درجة الأغنام، وذلك بحمله على الاستحياء من نفسه وقوته، فبدأت تلك الشاة تلقن الأسد مبدأ الاعتزاز بقوة الروح وتركاللحوم واكل العشب والإيمان بأن الجنة قد خصصت للضعفاء، وأن القوة في الحقيقة نقصان. وهكذا إلى ان وجد الأسد في هذه المواعظ انعكاساً لميله هو إلى الراحة والدعة، فانحط إلى درجة الأغنام وهو يحسب أن ذلك الانحطاط إن هو إلا مدنية وحضارة!

فهذه الخطة في رأي إقبال ليست إلا رياءودهاء –الدهاء الذي (يزداد وينمو بطبيعة احال في العبودية والاضطهاد)– ولا يستعمل هذه الخطة إلا الضعيف الذي يئس من كسب القوة، وهو إنما يغرر ويضلل بها قوياً قد مال إلى الاستكانة.

ولكن دعوة إقبال لا تقتصر على (إعداد القوة) –ولا أقوال (تمجيد القوة) كما فعل بعض الفلاسفة الألمان– بل، وهذه هي النقطة المهمة، وهو يدعو أيضاً إلى البحث عن القيم الأخلاقية والمثل العليا في الحياة الإنسانية والإيمان بها والعمل لها، حتى لا يكون استعمال القوة إلا الحفظ ونشر تلك القيم والمثل التي تكفل الخير للعالم! أما إذا وجدت القوة منفصلة عن القيم الأخلاقية والمثل العليا فلا شك أنها تعود شراً لا شر بعده كما يتمثل ذلك الشر في إعمال الإسكندر وجنكيز"[۱۲].

د. سید مُحَمَّد یوسف والأدب الإسلامي:

تبين لدينا مصطلح الأدب الإسلامي بوضوح في السبعينات، وذلك بعد أن تحدث عنه الكثير من الأدباء في مؤلفاتهم ودراساتهم مثل سيد ومُحَمَّد قطب، أبو الحسن الندوي، د. عبد الرحمن رأفت باشا، نجيب كيلاني ود. عدنان النحوي. فحين نجد التلميح والإشارة لهذا الأدب في مقالات د.سيد مُحَمَّد يوسف في الأربعينات: "وخلاصة القول أن المسلمين في غنى عن مثل هذه المناقشة في المسائل الأخلاقية والاجتماعية، لو أنهم ردوها إلى الإسلام وسيرة الرسول. لننظر إلى قوله تعالى: والشعراء يتبعهم الغاوون، وقول النبي في أمريء

القيس بأنه قائد الشعراء إلى النار، ولنتقارن هذا وذاك بما هو معروف من تشجيع النبي لحسان بن ثابت وإنعامه على كعب بن زهير، ثم لنتأمل لعلنا نجد فيه حكما فصلا بأن الفن ليس للفن، بل إنه عامل من العوامل الشديدة التأثير في النفس وفي الحياة، ولذلك يجب أن يخضع لقاعدة التنظيم الإجماعي حتى يخدم أغراض المجتمع الخاصة ولا يخرج عليها. وهذا هو تفسير تلك القيود التي وضعه الإسلام على بعض نواحي النشاط الفني والتي ربما ثقلت على دعاة حرية الفن؛ فإن كل ما يدعوا إلى الوثنية أو أخلاق الجاهلية إن كان من الفن فهو فن سوء، ولا مجال للاعتراف به في نظام شامل كالإسلام الذي يكفل حياة جد وعمل دائمين في سبيل الخير لا حياة لهو وترف في حال من الأحوال"[۱۳].

وإن ما ذكره الدكتور يوسف سابقا نجده قريبا جدا مما كتبه توفيق الحكيم فيما بعد بعدة سنوات، عن دور الأدب والأديب الإسلامي. يقول توفيق الحكيم في كتابه فن الأدب: "إن هناك صلة -في اعتقادي- بين رجل الفن ورجل الدين؛ ذلك أن الدين والفن، كلاهما يضئ من مشكاة واحدة، هي ذلك القبس العلوي الذي يملأ قلب الإنسان بالراحة والصفاء والإيمان.. وإن مصدر الجمال في الفن هو ذلك الشعور الذي يغمر الإنسان عند اتصاله بالأثر الفني.. من اجل هذا، كان لابد للفن أن يكون مثل الدين، قائماً على قواعد الأخلاق"[۱٤].

مؤلفات الدكتور:

كتب باللغة العربية:

١- الأشباه والنظائر للخالديين. طبع في القاهرة ١٩٥٨-١٩٦٠.

٢- كتاب الأنوار ومحاسن الأشعار للشمشاطي. طبع في الكويت ١٩٧٧-١٩٧٨.

٣- شرح ما يقع في التصحيف والتحريف لأبي على الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري (ت ٣٨٢هـ).

٤- تهذيب وتقديم "من نسب إلى أمه من الشعراء". الذي جمعه العلامة الميمني طبع في مجلة المجمع العلمي بدمشق.

٥- المهلب بن أبي صفرة. طبع بعض إجزاء هذا البحث في مجلة "اسلامك كلچر" حيدر آباد الهند.

٦- كتاب المحب والمحبوب، للسرى الرفاء الموصلي. طبع في الكويت.

٧- الألفاظ الهندية المعربة. طبع رباط ١٩٧٣.

كتب باللغة الأردية:

١- جيتا جاگتا. ترجمة قصة "حي بن يقظان". مطبوعات انجمن ترقي اردو كراتشي ١٩٥٥.

٢- تاريخ التاريخ (مترجم). طبع لاهور ١٩٦٨.

٣- اندلس تاريخ وأدب. طبع كراتشي ١٩٦٩.

٤- برگِ نخيل. طبع كراتشي ١٩٨١.

كتب باللغة الإنجليزية:

1- The life of Muhammad..١٩٥٤ سيرلانكا

2- Some aspects of Islamic culture..١٩٦١ لاهور

3- Essay on Sunnah..١٩٦٦ لاهور

4- Hazrat Abu Dharr-Al-Ghaffar..١٩٦٩ كراتشي

5- Sermons on the mount Arafat..١٩٧٠ كراتشي

6- Studies in Islamic history and culture..١٩٧٠ لاهور

7- Economic justice in Islam..١٩٧١ لاهور

ونشرت له مقالات في المجلات العربية منها:

١- مكتوب الصابي. طبع في مجلة المجمع العلمي بدمشق.

٢- من كتاب الأشباه والنظائر للخالدين. طبع في مجلة المجمع العلمي بدمشق.

٣- نسخة فريدة من الجواهر المكللة في الأخبار المسلسلة للسخاوي. طبع في مجلة المجمع العلمي بدمشق.

٤- المرتضى كالهند لا ينكر محدثه. طبع في مجلة المجمع العلمي بدمشق.

٥- العلاقات التجارية، مجلة كلية الفؤاد الأول، القاهرة يوليو ١٩٥٣.

٦- رسالة الغفران للمعري، تحقيق بنت الشاطئ مجلة الكتاب القاهرة ١٩٥١.

٧- السنة ومكانتها في الإسلام، طبع في مجلة الدراسات الإسلامية بكراتشي، سبتمبر ١٩٦٥.

والعديد من المقالات باللغة الأردية والفارسية والإنجليزية والتي نشرت بمجلات وصحف مختلفة.

جماليات فن المقال عند الدكتور سيد مُحَمَّد يوسف:

اللغة:

استخدم فضيلة الدكتور اللغة الواضحة السهلة والمعاصرة في كتابة مقالاته. إلا إننا نرى بعض لمسات من اللغة التراثية والكلمات الصعبة والمصطلحات المعقدة، أو الحكم والأمثال القديمة. ومثالاً على ذلك:

"ثم هي أقبلت على التشريع لافتقارها إلى وضع حدود للأعمال الإنسانية التي لم تزل ولا تزال معرضة للإفراط والتفريط ولما لم يكن لها مستند إلى المصدر الأعلى اندفعت بطبيعة الحال إلى التعويل على العقل الذي قلما يتخلص تماماً من أسر الهوى فتعذر عليها (الاتفاق) في التشريع لكون أفرادها كثيري الهوى شتى المسالك نتيجة لعدم ارتباطهم بحدود من الله فإذا فشلت الهيئة الاجتماعية الغربية في تحقيق (الاتفاق) (استكانت) إذ ذاك (إلى الاختلاف) واهتدت إلى إيجاد نظام للتشريع يؤدي إلى حفظ السلام وسير الأعمال غير معرقلة مع عدم اقتناع عدد غير قليل بما ينتج منه وهذا النظام هو النظام الديمقراطي الحديث..."[١٥].

"أما المسائل من قبيل تأبير النخل فلا شأن للإسلام أو أي نظام تشريعي بها لأنها من اختصاص الفنانين ومدارها على التجربة والمشاهدة لا غير..."(١٦).

قصة "تأبير النخل" واردة في الأحاديث المروية عن الرسول ﷺ.

"ولا غرو إذا غرو إذا أستدعى هذا الحال عقد جلسة هامة لمجلس الشورى لإبليس يوم كانت بوادر الحرب الماضية قد لاحت في الأفق لكل ذي بصيرة وخبرة"(١٧).

الاستدلال والاستشهاد:

"مضت الأمم الشرقية تتهافت على تلك المظاهر تهافت الفراش على النار وتنقلها بحماسة بالغة وفي بعض الأحيان بقوة وعنف إلى أرضها وديارها ظناً منها أنها تجاري بهذا الطريق الأمم الراقية كأن طريق الرقي والتقدم كله هزل ومتعة ولذة!"(١٨).

"٣٣٩٨- (وقال -صلّى الله عليه وسلم- إنكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم).

قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ مثلي ومثل الناس ولفظ مسلم ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيه ولمسلم من حديث جابر وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تفلتون من يدي اه"(١٩).

كما نجد في الاستدلال بهذا الحديث صورة بلاغية وهي الكناية عن تهافت الأمم الشرقية على المظاهر الغربية وتبنيها، والتي ستؤدي بها إلى الهلاك.

"قد كنت أقرأ وأنا بالهند عن اهتمام ملك مصر بإحياء ليالي رمضان فتشرق نفسي إلى شهودها فلما حقق الله لي تلك الأمنية وحضرت إحدى تلك الحفلات الملكية كنت أتوقع أن أجد المستمعين كأن رؤوسهم الطير وخفت أن تصدر مني هفوة لصوري عن معرفة الآداب المرعية هناك ولكني اكتشفت أن الأمر أهون بكثير"(٢٠).

"١٥٤٩- كَانَ على رؤوسهم الطير قَالَ الطَّيِّبِيّ هُوَ كِنَايَة عَن اطراقهم رؤوسهم وسكوتهم وَعدم التفاتهم يَمِينا وَشمَالًا أَي على رَأس كل وَاحِد الطير يُرِيد صيدها وَلَا يَتَحَرَّك وَهَذِه كَانَت صفة مجْلِس رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذا تكلم اطرق جلساءه كَأَنَّهَا على رؤوسهم الطير وَأَصله ان الْغُرَاب إِذا وَقع على رَأس الْبَعِير فيلتقط مِنْهُ الحلمة والحمنانة فَلَا يُحَرك الْبَعِير رَأسه لِئَلَّا ينفر عَنهُ الْغُرَاب (مرقاة)"(٢١).

وهنا أيضا صورة بلاغية وهي الكناية عن حالة وكيفية المستمعين لتلاوة القرآن الكريم والتي تتسم بالخشية والاحترام والسكينة.

"ولكن أتى على المسلمين زمن سولت لهم أنفسهم فيه أن يخجلوا ويتبرءوا من كل ما ينم عن فكرة دينية، حتى ولو كان من المبادئ المقررة والحقائق التاريخية الثابتة لكي يتسنى لهم الحصول على لقب (المستنيرين) من عدوهم الذي بهرهم بقوته وشوكته"(٢٢).

المستنيرين: "اسم المتنورين او المستنيرين يطلق على عدد من الجماعات القديمة والحديثة ولكن عادة يقصد به "بافاريان الوميناتي" او مجموعة المتنورين التي انشات في بافاريا–المانيا في ١٧٧٦. تتالف الحركه من مجموعة من المفكرين والمتعلمين(المتنورين) وتتبع في تصميمها الحركه الماسونية"(٢٣).

"إلا وهي الانقلاب في الفكر السياسي عند العرب بحيث يتأكدون أن التسامح لا مقام له أي وزن إلا إذا من قوي يقظ شديد المراس مستكمل المدة، مستقل بنفسه، قادر على قلب ظهر المجن عند ظهور أولى بوادر الشر، ولن يتأتى للمسلمين مثل هذه القوة إلا إذا كانت حياتهم منسقة على أسس دينية بحتة"(٢٤).

كما نجد في الفقرة السابقة خاصية وعامل اللغة أيضاً.

قلب ظهر المجن: "قَالَ ابْنُ الأَثير: هَذِهِ كَلِمَةٌ تُضْرَب مَثَلًا لِمَنْ كَانَ لِصَاحِبِهِ عَلَى مودَّة أَو رعايةٍ ثُمَّ حالَ عَنْ ذَلِكَ. ابْنُ سِيدَهْ: وقَلَبْ فلانٌ مِجَنَّة أَي أَسقَط الحياءَ وفعَل مَا شاءَ. وقلَبَ أَيضاً مِجَنَّة: ملَك أَمرَه واستبدَّ بِهِ"(٢٥).

"ولو فرض جدلاً إنه يحق للزعماء أن يتناسوا الدين لأغراض سياسية في الحال الحاضر فليت شعري من أين استمدوا سلطتهم على الماضي حتى يقترحوا تنشئة الجيل الجديد على ذكرى أمجاد العرب بدون أن يوفوا الإسلام حقه؟".

فليت شعري: "ولَيْتَ شِعْرِي أَي لَيْتَ عِلْمِي أَو لَيْتَنِي عَلِمْتُ، وليتَ شِعري مِنْ ذَلِكَ أَي لَيْتَنِي شَعَرْتُ، قَالَ سِيبَوَيْهِ: قَالُوا لَيْتَ شِعْرَتِي فَحَذَفُوا التَّاءَ مَعَ الإِضافة لِلْكَثْرَةِ، كَمَا قَالُوا: ذَهَبَ بِعُذْرَتِها وَهُوَ أَبو عُذْرِها فَحَذَفُوا التَّاءَ مَعَ الأَب خَاصَّةً. وَحَكَى اللِّحْيَانِيُّ عَنِ الْكِسَائِيِّ: ليتَ شِعْرِي لِفُلَانٍ مَا صَنَعَ، وليت شِعْرِي عن فلان مَا صَنَعَ، وليتَ شِعْرِي فُلَانًا مَا صَنَعَ"(٢٦).

"ولكن ماذا نصنع إذا تخلى الأزهر الشريف عن وظيفته فصار يسير في موكب الساسة وولاة الأمور دون أن يسمو إلى توجيههم وإرشادهم لوجه الله، فهل يصدر الفتوى ضد الشيوعية وضد بيع الأراضي ليهود فلسطين ليساعد الحكومة في بعض أعمالها ويسكت عن أشياء ليتجنب معارضة الساسة وعرقلة الحكومات (حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء)"(٢٧).

فقل لمن يدّعي في العلمِ فلسفةٍ حَفِظْتَ شيئاً وَغابَتْ عَنْكَ أشيَاءُ(٢٨).

هذا البيت العاشر لقصيدة أبو نواس "دع عنك لومي" والتي قالها في الخمريات، ويقصد فيه أن المعرفة تكون ناقصة مهما بلغت معرفة الشخص لا بد ان يجهل اشياء عديدة.

"فأني وإن كنت أؤيد الشاعر في قوله (ومن لا يظلم الناس يظلم) اعتقد أن كل من بقادر على الظلم لا بد أن سيظلم؛ إذ الإنسان لا يزال بعيداً عن العهد الذي يعترف فيه للحق الأعزل والعدالة التي لا تسندها القوة"(٢٩).

"وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاحِهِ يُهَدَّم وَمَن لا يظلِمِ النّاسَ يُظْلَمِ

الذود: الكفُّ والرَّدع.يقول: ومن لا يكفّ أعداءه عن حوضه بسلاحه هدم حوضه، ومن كف عن ظلم الناس ظلمه الناس، يعني ومن لم يَحْمِ حريمه استبيح واستعار الحوض للحريم"(۳۰).

"وكذلك الانهماك في اللذات والتعبير عنها تعبيراً صادقاً مثل حكاية طروق حبلى ومرضع، فإن هذا النوع من الحرية للأديب التي يدعوا إليها بعض الكتاب الفرنسيين ويعجب بها بعض كتابنا البارزين-لا توجه الإنسانية إلى سواء السبيل وحسن المصير"(۳۱).

حكاية طروق حبلى ومرضع ذكرها امرؤ القيس في معلقته:

فمِثلِكِ حُبْلى قد طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ فألْهَيتُها عن ذي تمائمَ مُحْوِلِ

إذَا ما بكى من خلفها انْصَرَفَتْ لهُ بشِقٍّ وتحتي شِقُّها لم يُحَوَّلِ(۳۲).

ولقد شرح الزوزني الأبيات بالتفصيل مسلطاً الضوء على الحكاية.

"ومما ساعده على هذا الظن -الخاطئ مع الأسف- تلك الألقاب الفخمة المشعرة بحماية الدين ونصرة الإسلام والمسلمين التي يتحلى بها بعض الأمراء والأعيان في الأقطار المختلفة (كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد) ومظاهر أخرى مثل صدور الفتاوى من مشيخة الأزهر (إلى العالم الإسلامي كله) تلك الفتاوى التي عرفت الآن أنها لا تصدر عن شعور داخلي حر بخير (العالم الإسلامي كله) ولا عن دراسة وافية للأحوال والظروف الخاصة بالمسلمين في الأقطار المختلفة"(۳۳).

مما يزهّدني في أرض أندلس أسماء مقتدر فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهرّ يحكي انتفاخا صولة الأسد(۳٤).

هذا الشعر لابن رشيق قاله لصديقه ابن شرف عند طلبه لدخول الأندلس وفيه يشبه حكام الأندلس بالقط الذي ينفخ نفسه مثل الأسد الذي يريد أن ينقض على فريسته.

"لئن سجل تاريخ القرن الماضي انقضاضاً من الأمم الغربية المتفوقة على الشعوب الشرقية الكثيرة العدد، فقد شاهد الجيل الحاضر تنافساً بين الدول الغربية - تنافساً قد أدى صراعين عالميين. وها هو ذا شبح الحرب الثالثة يلوح في الأفق، ويقبض مضاجع الإنسانية جمعاء، لا فرق في ذلك بين الذين (لم يريقوا ملء محجم) وبين الذين (دقوا بينهم عطر منشم)"(۳۵).

"يُنَجّمُهَا قَوْمٌ لِقَومٍ غَرَامَةً وَلَمْ يُهرِيقوا بينَهمْ مِلْءَ مِحْجَمِ

أراق الماء والدم يريقه وهراقه يهريقه وأهراقه يهريقه لغات، والأصل اللغة الأولى، والهاء في الثانية بدل من الهمزة في الأولى، وجمع في الثالثة بين البدل والمبدل توهمًا أن همزة أفعل لم تلحقه بعد. المحجم: آلة الحجام، والجمع المحاجم.

يقول: ينجِّم الإبل قوم غرامة لقوم، أي: ينجمها هذان السيدان غرامة للقتلى؛ لأن الديات تلزمهم دونهما، ثم قال: وهؤلاء الذين ينجمون الديات لم يريقوا مقدار ما يملأ محجمًا من الدماء، والملء مصدر ملأت

الشيء، والملء مقدار الشيء الذي يملأ الإناء وغيره، وجمعه أملاء، يقال: أعطني ملء القدح ومليئه وثلاثة أملائه"[٣٦].

"تَدَارَكتُما عَبْسًا وَذُبيان بَعْدَمَا تَفَانَوا وَدَقّوا بَينَهم عطرَ مَنشمِ

التدارك: التلافي، أي تداركتما أمرهما. التفاني: التشارك في الفناء. منشم، قيل فيه: إنه اسم امرأة عطارة اشترى قوم منها جفنة من العطر وتعاقدوا وتحالفوا وجعلوا آية الحلف غمسهم الأيدي في ذلك العطر، فقاتلوا العدو الذي تحالفوا علىقتاله فقُتلوا عن آخرهم، فَتَطَيَّرَ العرب بعطر منشم وسار المثل به، وقيل: بل كان عطارًا يشترى منه ما يخنَّطُ به الموتى فسار المثل بعطره.

يقول: تلافيتما أمر هاتين القبيلتين بعدما أفنى القتال رجالهما وبعد دقهم عطر هذه المرأة أي بعد إتيان القتال على آخرهم كما أتى على آخر المتعطرين بعطر منشم"[٣٧].

"وخلاصة القول أن الحياة الإسلامية مليئة بمظاهر روح النظام والولاء لو أننا تمسكنا بالعروة الوثقى وسعينا لإحياء تقاليدنا أكثر من الطموح إلى انتحال عوائد الأمم الأجنبية فإن اقتراح الأستاذ ساطع الحصري بك إنما يذكرني بحكاية ناظرة مستشفى نقلت من بعض بلدان شرق أوربا الواقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط إلى منطقة من أحرّ مناطق الهند فأمرت بفتح جميع النوافذ والشبابيك وقت الظهيرة كما كانت اعتادت ذلك من قبل في الجو المعتدل الذي تركته وراءها وكان الأولى أن تغلقها"[٣٨].وهذه الفقرة فيها استشهاد بمثال من الواقع.

الأسلوب:

الأساليب البلاغية:

"وأخيرا تصادف أن فقدت هؤلاء الطوائف ربيبة الاستعمار عمادها أو القط الذي كانت هي بمثابة المخلب له"[٣٩]. (تشبيه).

"لم يمض إلا وقت قليل حتى كشرت روسيا عن أنيابها، فكانت من اشد الأنصار لتقسيم فلسطين، وبلغ الحال أن بدأ ممثلو العرب وزعماؤهم يستغلون موقف روسيا العدائي لتخويف أمريكا وبريطانيا بعد أن ضيعوا أنفاسهم واتعبوا أقلامهم يستنجدون بصداقتها ضد تينك الدولتين منذ بضعة أشهر فقط"[٤٠]. (تشبيه).

"أحلف بالله أنه يغمرني من الأسف واللهف أكثر مما غمر الأستاذ كاتب المقال حينما ألحظ في غدواتي وروحاتي أن المؤذن يؤذن للصلاة والآذان يذاع بالراديو فلا يحرك ساكنا ولا يسكن متحركا وترى المارين في الشوارع والتجار في المحال والجموع المحتشدة أمام دور السينما والملاهي وكأنهم لم يسمعوا شيئاً!!! أفلم يلقن الرسول ﷺ أتباعه كيف يردون على الداعي إلى الصلاة والصلاح والفلاح!"[٤١]. (طباق-جناس).

"كم ابتهجنا نحن معشر المشتغلين بالآداب العربية في البلاد النائية لإعادة طبع تاج العروس في حليّة قشيبة، وشكرنا لوزارة الأرشاد والأنباء في الحكومة الكويتية سعيها الحثيث في نشر التراث العربي الإسلامي، كما قدرنا كل التقدير المجهود الذي بذله ولا يزال يبذله المحقق الأستاذ عبد الستار أحمد الفراج في هذا الصدد، إلا أننا

فوجئنا بمحاولة منه أثناء التقديم والتعريف لإنكار مولد السيد المرتضى بيليكرام (الهند) مع عدم استطاعة ذكر أي بلد آخر مسقطاً لرأسه، ولما جرى الكلام عن هذه المحاولة في مجلس شيخي العلامة عبد العزيز الميمني أستنكرها بشدّة وعهد إليّ بالردّ عليها دفاعا عن الحق ونصرة للأمانة العلمية، ثم تفضل عليّ بتزويدي بجميع المصادر التامة والمراجع النادرة من خزانة كتبه العامرة، واتبع الدلو رشاءها فأنار الطريق أمامي بتوجيهاته حتى أمتثلث أمره وقدمت بين يديه ما سودته شملتي برضاه وأجاز لي تبيضه ونشره، فهاكم، أيها القراء، ما يتعلق بنسب السيد المرتضى ومولده عسى أن ينكشف الغبار ويعود الامر إلى نصابه"[٤٢]. (طباق).

ويوجد في الفقرة السابقة استشهاد بالمثال "واتبع الدلو رشاءها"، أي إذا ذهب الكثير فأتبعه القليل ولا تفكر فيه.

التراكيب اللغوية:

"إن من الطبيعي أن يتأثر كل من يشاهد ويلاحظ ذلك الفرق بين تقاليد الشعبين كما تأثر به الأستاذ الفاضل ولكن أو ليس أحرى بنا نحن الشرقيين المسلمين إن نطيل الفكر في مثل هذه الفروق حتى ندرسها درساً وافيا ونستخلص روح الحياة الغربية فنتعظ وننتفع بها دون أن ننقل مظاهرها إلينا فنتسلى ونغالط أنفسنا بمجاراة الأمم الراقية"[٤٣]. (تركيب توازني).

"إنما جبن المسلمون فتعمدوا نسيانها والإعراض عن الشهادة بها حينما ذهبت ريحهم فأصيبوا بمركب النقص في تفكيرهم حتى بدءوا يلتمسون الرقي والتقدم في محاكاة الأمم الغربية المتحكمة فيهم"[٤٤]. (تركيب إثباتي)

"ويا حبذا لو أن كبار العلماء تنازلوا عن سلطتهم المنتحلة هذه كما فعلت تركيا حينما ألغت الخلافة بعدما رأت عجزها عن إسداء أي عون مادي أو أدبي إلى ما يسمى بالعالم الإسلامي"[٤٥]. (تركيب تفاضلي).

العاطفة:

"ولا بأس بأن أذكر بهذه المناسبة أن الجامعة الإسلامية بعليكره (الهند)، التي لي الشرف بالانتساب إليها، تهتم بمثل هذه الأمور اهتماماً كبيراً لتنمية الشعور الإسلامي بين أبنائها، فمن الواجب المعمول به هناك أن يكف اللاعبون في ميادين اللعب والخطباء في نادي الاتحاد من اللعب وإلقاء الخطب ويلتزموا الصمت طالما يرن صوت المؤذن في آذانهم وربما حدث أن فرقا أجنبية زائرة أشير عليها بالكف عن اللعب أثناء المباريات فبدأت تنظر ذات اليمين وذات الشمال تتحرى السبب في دهشة وحيرة كما كان الحال بالأستاذ الحصري بك في كارفو فلما أخبرت أن السبب ليس إلا الاحترام للآذان تأثروا تأثيراً قوياً ظاهراً بهذا المظهر للطابع الإسلامي الخاص بتلك الجامعة حفظها الله من كل بلاء وعدوان"[٤٦].

"قد كنت ولا أزال من أشد المتحمسين لفكرة إنشاء اتحاد إسلامي عالمي يضم الشعوب المتجانسة والدول المتجاورة الممتدة من الباكستان شرقا إلى تركيا ومصر غربا، وربما يتسع نطاقه فيما بعد في الناحيتين الشرقية

والغربية إلى إندونيسيا والمغرب الأقصى. وازهي بالقول بأن المسلم الهندي أفعم قلبه إيمانا وإخلاصا لهذه الفكرة التي ازداد طموحه إليها بعد أن نجح في خلق أداة قوية فعالة، ألا وهي دولة الباكستان للمساهمة في إبرازها إلى حيز الوجود"(٤٧).

عُرضت مقتطفات من مختلف المقالات لسعادة الدكتور سيد مُحَمَّد يوسف تم التوضيح فيها استخدام فضيلته لخصائص فن المقال بمهارة فائقة، والتي أضافت جمالاً وقوة للمقال وفكرته. من استخدام اللغة، الاساليب، التراكيب، الاستدلال من القرآن والسنة والواقع والتاريخ، والاستشهاد بالأشعار والحكم والأمثال العربية. وقد ذكر هذه الأشياء بكل سهولة ويسر في زمنا وعصرا لم يكن فيه الحاسوب والشبكة العالمية(الأنترنت) ووفرة المعلومات وسهولة الوصول إليها مثل زمننا وعصرنا الحاضر. مما يدل على سعة علمه ومعرفته وفطانته، وحفظه للأحاديث الشريفة والأشعار وخصوصاً من العصر الجاهلي. وذكر ما استخدم منها للحكمة والأمثال والأقوال المأثورة، ووضعها في المكان المناسب حسب موضوع ومتطلبات المقال.

ولا نلاحظ أي فرق من جميع النواحي الأدبية والفنية في كتابة المقال، في معرفة أن الكاتب عربي أم عجمي.

وبإلقاء نظرة عامة على مقالات الدكتور، نجد أنه يغلب على المقالات التي كتبت ونشرت في المجلات المصرية طابع النقد والسياسة والفكر الإسلامي. وأغلب الظن في ذلك لأن الكاتب كان متواجد في مصر في ذلك الوقت،وعاصر فترة الثورات العربية، ومقاومة الاستعمار، والنكبة الفلسطينية، وكونه مسلم ينتمي إلى شبه القارة الهندية الباكستانية وقلبه مملوء بالحب والعاطفة للأمة العربية والإسلامية وجمع شملها من أقصى المشرق إلى المغرب الأقصى، وذلك كما قال في مقاله الإتحاد الإسلامي: "وازهي بالقول بأن المسلم الهندي أفعم قلبه إيمانا وإخلاصا لهذه الفكرة التي ازداد طموحه إليها بعد أن نجح في خلق أداة قوية فعالة، ألا وهي دولة الباكستان للمساهمة في إبرازها إلى حيز الوجود.

ولكن نظرة المسلم الهندي إلى العالم الإسلامي إنما كانت إلى وقت غير بعيد نظرة عاطفية خيالية هي أبعد شيء عن الحقيقة والواقع فإنه كلما حول وجهه إلى تلك الرقعة الشاسعة التي يقطنها المسلمون من العرب والعجم والترك رأى دولا قيل إنها مستقلة، وتيجانا ربما ادعى أنها ترمز إلى مجد الإسلام الغابر، وشعوبا مسلمة تؤلف الأغلبية الساحقة في حدود بلادها".

بينما كانت مقالاته المنشورة في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق وكما يتضح من عناوينها إنها أدبية علمية على الوجه التام.

هذه هي جماليات فن المقال العربي لدى الدكتور سيد مُحَمَّد يوسف رحمه الله.

فهرس المراجع المصادر:

باللغة العربية:

ابن ماجه، شرح سنن ابن ماجه، مجموع من ٣ شروح، «مصباح الزجاجة» للسيوطي (ت ٩١١ هـ)، «إنجاح الحاجة» لمحمد عبد الغني المجددي الحنفي (ت ١٢٩٦ هـ)، «ما يليق من حل اللغات وشرح المشكلات» لفخر الحسن بن عبد الرحمن الحنفي الكنكوهي (١٣١٥ هـ)، الناشر: قديمي كتب خانة – كراتشي.

١. ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب، الجزء ٤ و١٣، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ.

٢. أبو عبد الله، حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَنِي (المتوفى: ٤٨٦هـ)، شرح المعلقات السبع، دار احياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٣. أبو نواس، ديوان أبو نواس، محمود افندي واصف، الطبعة الأولى المطبعة العمومية بمصر ١٨٩٨.

٤. أحمد، مختار الدين، مجلة المجمع العلمي الهندي، العدد رقم ١-٢، ١ يونيو ١٩٧٩.

٥. أحمد،مختار الدين، مجلة المجمع العلمي سوريا، العدد رقم ٢، ١ أبريل ١٩٧٩.

٦. الحسن، عيسى محمود ، الصحافة المدرسية المنبر الإعلامي التربوي، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى ٢٠١٣.

٧. الحكيم، توفيق، فن الأدب، دار مصر للطباعة، ١٩٩٨م.

٨. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المحقق إحسان عباس، ص ٢٦٣٧ الجزء ٩، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٩. العِراقي (٧٢٥ – ٨٠٦ هـ)، ابن السبكى (٧٢٧ – ٧٧١ هـ)، الزبيدي (١١٤٥ – ١٢٠٥ هـ)، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، استِخرَاج: أبي عبد اللَّه مَحمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد (١٣٧٤ هـ –؟)، الجزء ٥، دار العاصمة للنشر – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م.

١٠. نجم، مُحَمَّد يوسف (المتوفى: ١٤٣٠هـ)، فن المقالة، دار صادر بيروت – دار الشروق عمان، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦.

١١. يوسف، سيد مُحَمَّد، الاتحاد الإسلامي، مجلة الرسالة العدد ٨٥٠، بتاريخ ١٧-١٠-١٩٤٩.

١٢. يوسف، سيد مُحَمَّد، القوة المادية والإيمان بالمثل العليا، مجلة الرسالة العدد ٩٣٤، بتاريخ ٢٨-٠٥-١٩٥١.

١٣. يوسف، سيد مُحَمَّد، المرتضى كالمهند: لا ينكر معدنه، المجمع العلمي العربي، العدد رقم ٤، ١ أكتوبر ١٩٦٨.

١٤. يوسف، سيد مُحَمَّد، تحية العلم، مجلة الرسالة العدد ٧٩١، بتاريخ ٣٠-٠٨-١٩٤٨.

١٥. يوسف، سيد مُحَمَّد، حرية الأدب والفن، البريد الأدبي، مجلة الرسالة العدد ٨١٦، بتاريخ ٢١-٠٢ -١٩٤٩.
١٦. يوسف، سيد مُحَمَّد، خواطر سياسية وأدبية، مجلة الرسالة العدد ٨١١، بتاريخ ١٧-٠١-١٩٤٩.
١٧. يوسف، سيد مُحَمَّد، رأي الأكثرية في السياسة الشرعية، مجلة الرسالة، العدد ٧٤٦، بتاريخ ٢٠-١٠-١٩٤٧.
١٨. يوسف، سيد مُحَمَّد، ظواهر في حياتنا الأدبية، مجلس الشورى لإبليس، مجلة الرسالة العدد ٧٧٢، بتاريخ ١٩-٠٤-١٩٤٨.

باللغة الأردية:

١- يوسف، سيد مُحَمَّد، مكالمه عقل وعشق: پير انصار اوراقبال،اقبال ريويو، مجله اقبال اكادمى-پاكستان، جنورى ١٩٧٣.
٢- يوسف، سيد مُحَمَّد، برگِ نخيل، مجموعهمقالات، مدينه پبلشنگ كمپنى، ١٩٨٢.

مقالات من الشبكة العالمية:

١- زهدي، د. عبدالرؤوف وابوزيد، سامي يوسف، فن المقالة.
http://www.mql.cc/NewsDetails.aspx?id=531
٢- منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، ركن الفتاوى اللغوية، أنت تسأل والمجمع يجيب، الفرق بين قولنا أدب المقال وفن المقال؟
http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?p=11852
٣- النظام العالمي الجديد، المتنورين.
http://newworldorder-nooriraq.blogspot.com/2011/03/illuminati.html

مواقع على الشبكة العالمية:

1. http://articles.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=4932
2. http://fatwa.islamweb.net/ramadan/index.php?page=article&lang=A&id=4932
3. http://mawdoo3.com/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%84%D8%A7%D8%BA%D9%8A%D8%A9_%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9
4. http://mawdoo3.com/%D8%AE%D8%B5%D8%A7%D8%A6%D8%B5_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A

5. http://mawdoo3.com/%D8%AE%D8%B5%D8%A7%D8%A6%D8%B5_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84
6. http://mawdoo3.com/%D8%AE%D8%B5%D8%A7%D8%A6%D8%B5_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%D8%A9
7. http://mawdoo3.com/%D8%AE%D8%B5%D8%A7%D8%A6%D8%B5_%D9%81%D9%86_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84
8. http://mawdoo3.com/%D8%B9%D9%86%D8%A7%D8%B5%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84
9. http://mawdoo3.com/%D9%83%D9%8A%D9%81_%D8%A7%D9%83%D8%AA%D8%A8_%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84_%D8%A7%D8%AF%D8%A8%D9%8A
10. http://netlycee.jeun.fr/t562-topic
11. http://www.alithnainya.com/tocs/default.asp?toc_id=23984&toc_brother=-1&path=0;2;23935;23936;23944;23984
12. http://www.angelfire.com/nd/prose/icy.htm
13. http://www.arabic-teacher.com/index.php?option=com_wrapper&view=wrapper&Itemid=50&lang=ar
14. http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=46326
15. http://www.djelfa.info/vb/showthread.php?t=39705
16. http://www.mql.cc/NewsDetails.aspx?id=908
17. https://www.tunisia-sat.com/forums/threads/187862/

الهوامش

(١)الحسن، عيسى محمود ، الصحافة المدرسية المنبر الإعلامي التربوي، ص ١٧٥، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٣.

(٢)نجم، محمد يوسف (المتوفى: ١٤٣٠هـ)، فن المقالة، ص ٧٦، دار صادر بيروت – دار الشروق عمان، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦.

(٣)نفس المصدر.

(٤)الحسن، الصحافة المدرسية المنبر الإعلامي التربوي، ص ١٧٦.

(٥)زهدي، د. عبدالرؤوف وابوزيد، سامي يوسف، فن المقالة.http://www.mql.cc/NewsDetails.aspx?id=531

منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، ركن الفتاوى اللغوية، أنت تسأل والمجمع يجيب، الفرق بين قولنا أدب المقال وفن المقال؟http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=6983.

[٦]نجم، فن المقالة، ص ٥٤-٥٨.

[٧]أحمد، مختار الدين ، مجلة المجمع العلمي الهندي، العدد رقم ١-٢، ص ١٩٣-٢٠٢، ١ يونيو ١٩٧٩.

أحمد، مختار الدين ، مجلة المجمع العلمي سوريا، العدد رقم ٢، ص ٥١٩-٥٢٧، ١ أبريل ١٩٧٩.

يوسف، سيد مُحَمَّد، برگِ نخيل، مجموعه مقالات، مدينه پبلشنگ كمپنى، ١٩٨٢.

[٨]أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية، عميد كلية الآداب، مدير مركز الشيخ زايد (سابقا) بجامعة كراتشي.

[٩]مقابلة شخصية أجريتها مع فضيلة الدكتور يوم الجمعة ٢٠١٧/٣/٣١.

[١٠]يوسف، سيد مُحَمَّد، تحية العلم، مجلة الرسالة العدد ٧٩١، بتاريخ ٣٠-٠٨-١٩٤٨.

[١١]يوسف، سيد مُحَمَّد، حرية الأدب والفن، البريد الأدبي، مجلة الرسالة العدد ٨١٦، بتاريخ ٢١-٠٢ -١٩٤٩.

[١٢]يوسف، سيد مُحَمَّد، القوة المادية والإيمان بالمثل العليا، مجلة الرسالة العدد ٩٣٤، بتاريخ ٢٨-٠٥-١٩٥١.

[١٣]يوسف، حرية الأدب والفن، مجلة الرسالة العدد ٨١٦، بتاريخ: ٢١ - ٠٢ - ١٩٤٩.

[١٤]الحكيم، توفيق، فن الأدب، ص ٧٠، دار مصر للطباعة، ١٩٩٨م.

[١٥]يوسف، سيد مُحَمَّد، رأي الأكثرية في السياسة الشرعية، مجلة الرسالة، العدد ٧٤٦، بتاريخ ٢٠-١٠-١٩٤٧.

[١٦]نفس المصدر.

[١٧]يوسف، سيد مُحَمَّد، ظواهر في حياتنا الأدبية، مجلس الشورى لإبليس، مجلة الرسالة العدد ٧٧٢، بتاريخ ١٩-٠٤-١٩٤٨.

[١٨]يوسف، سيد مُحَمَّد، تحية العلم.

[١٩]العِراقي (٧٢٥ - ٨٠٦ هـ)، ابن السبكى (٧٢٧ - ٧٧١ هـ)، الزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ)، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، استِخرَاج: أبي عبد الله مَحمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد (١٣٧٤ هـ -؟)، ص ٢١٥٥ الجزء ٥، دار العاصمة للنشر - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.

[٢٠]يوسف، سيد مُحَمَّد، تحية العلم.

[٢١]ابن ماجه، شرح سنن ابن ماجه، مجموع من ٣ شروح، «مصباح الزجاجة» للسيوطي (ت ٩١١ هـ)، «إنجاح الحاجة»لمحمد عبد الغني المجددي الحنفي (ت ١٢٩٦ هـ)، «ما يليق من حل اللغات وشرح المشكلات» لفخر الحسن بن عبد الرحمن الحنفي الكنكوهي (١٣١٥ هـ)، ص ١١١، الناشر: قديمي كتب خانة - كراتشي.

[٢٢]يوسف، سيد مُحَمَّد، خواطر سياسية وأدبية، مجلة الرسالة، العدد ٨١١، بتاريخ ١٧-٠١- ١٩٤٩.

[٢٣]النظام العالمي الجديد، المتنورين.http://newworldorder-nooriraq.blogspot.com /2011/03/ illuminati.html

[٢٤]يوسف، خواطر سياسية وأدبية.

[٢٥]ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب، ص ٤٠٩، الجزء ٤، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ.

[٢٦]ابن منظور، لسان العرب، ص ٩٤، الجزء ١٣.

[٢٧]يوسف، سيد مُحَمَّد، خواطر سياسية وأدبية.

[٢٨]أبو نواس، ديوان أبو نواس، ص ٢٣٥، محمود افندي واصف، الطبعة الأولى المطبعة العمومية بمصر ١٨٩٨.

[٢٩]يوسف، خواطر سياسية وأدبية.

[٣٠]أبو عبد الله، حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَنِي (المتوفى: ٤٨٦هـ)، شرح المعلقات السبع، ص ٤٣، دار احياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

[٣١]يوسف، حرية الأدب والفن.

[٣٢]أبو عبد الله، شرح المعلقات السبع، ص ١٥١.

[٣٣]يوسف، سيد مُحَمَّد، الاتحاد الإسلامي، مجلة الرسالة العدد ٨٥٠، بتاريخ ١٧-١٠-١٩٤٩.

[٣٤]الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المحقق إحسان عباس، ص ٢٦٣٧ الجزء ٩، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

[٣٥]يوسف، القوة المادية والإيمان بالمثل العليا.

[٣٦]أبو عبد الله، شرح المعلقات السبع، معلقة زهير بن أبي سلمى ص ١٤١.

[٣٧]أبو عبد الله، شرح المعلقات السبع، معلقة زهير بن أبي سلمى ص ١٣٩-١٤٠.

[٣٨]يوسف، تحية العلم.

[٣٩]يوسف، الاتحاد الإسلامي.

[٤٠]يوسف، خواطر سياسية وأدبية.

[٤١]يوسف، تحية العلم.

[٤٢]يوسف، سيد مُحَمَّد، المرتضى كالمهند: لا ينكر معدنه، المجمع العلمي العربي، العدد رقم ٤، ص ٩٣٠، ١ أكتوبر ١٩٦٨.

[٤٣]يوسف، تحية العلم.

[٤٤]يوسف، خواطر سياسية وأدبية.

[٤٥]يوسف، الاتحاد الإسلامي.

[٤٦]يوسف، تحية العلم.

[٤٧]يوسف، الاتحاد الإسلامي.